

صراع الارادات على فلسطين

(قراءة في نداءات الانتفاضة)

أحمد شاهين

على الرغم من صغر مساحة فلسطين، وقلة تعداد سكانها، الفلسطينيين واليهود، فمشكلتها من أعقد المشكلات التي شغلت العالم، وانشغل بها طوال أكثر من مئة عام ونيف. فقد انفجرت تلك المشكلة منذ بدأت الحركة الصهيونية تطالب بتنفيذ «وعد الهي» لليهود في فلسطين، باعتبارها «أرض الميعاد» التي سينتظر اليهود فيها «مسيحهم». وترجمت الحركة الصهيونية هذا «الوعد الالهي» الى شعار سياسي يدعو الى «ضرورة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين»؛ وذلك في زمن تبلورت فيه الصراعات الكونية على أساس قومي، وكان البحث، في ما بين دول المتروبول الاوروبي، نشاطاً حول طريقة اقتسام تركيا «الرجل المريض» - الامبراطورية العثمانية. ومن باب تقرير الحقائق، انسجمت التطلعات الصهيونية نحو اقامة «وطن» في فلسطين مع التوجّهات الاستعمارية التي سادت في دول المتروبول الاوروبية، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وتقاطعت مع تلك التوجّهات في مسألة حماية الطريق الى الشرق الاقصى، سوق الاستعمار الرئيس، آنذاك، ومصدر مواده الخام. وعزّز من قيمة المشروع الصهيوني، لاحقاً، لدى الدوائر الاستعمارية، اكتشاف النفط في منطقة الشرق الاوسط، وحلوله مصدراً رئيساً للطاقة، منذ أوائل ثلاثينات القرن العشرين.

ومنطقة الشرق الاوسط، كمنطقة تخزن احتمالات حدوث تحولات اجتماعية، اذا هي تطوّرت، غير مضمونة العواقب بالنسبة الى دول المتروبول، خاصة انه بدأ، في تلك الفترة، تبلور الحركات الاجتماعية - السياسية على صعيد عالمي. وجاء نجاح الثورة الفرنسية آنذاك ليعزّز هذه المخاوف. لذا، بدت مسألة قيام كيان اسرائيلي وكأنها حاجة للغرب الرأسمالي، كي تُبقي المنطقة في حالة ارتباط بدول الغرب؛ كما ان وجود تهديد خارجي دائم يستنفد مواردها ويعيق تطوّر تنميتها.

وورثت الامبريالية الاميركية الصاعدة الارث البريطاني في المنطقة، وطوّرت دور اسرائيل بعد ان اثبتت قدرتها العسكرية، لتستخدمها «عصا» لضبط المنطقة أو «دركي» الغرب في منطقة الشرق الاوسط، حسب المصطلحات الصحافية التي درج استخدامها للتعريف بدور اسرائيل في اطار الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة الاميركية. وقد اثبتت اسرائيل قدرتها، واستعدادها للقيام بهذا الدور في حرب العام ١٩٥٦ وحرب العام ١٩٦٧. وانطلاقاً من أهمية هذا الدور، تضع الاستراتيجيات الغربية في حسابها «تفوق اسرائيل» على مجموع الدول العربية، وكان اتفاق التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل، في العام ١٩٨١، احدث صيغة للتعبير عن مكانة اسرائيل في تلك الاستراتيجية، وذلك كجزء عضوي من الغرب، وفي اطار سياسة الاستقطاب الدولي التي